

- ٩٣ -

قال الإمام الغزالي في تهافت الفلاسفة « لو لم ير إنسان المغناطيس وجذبه للحديد ، وحكى له ذلك . لاستنكره وقال : لا يتصور . جذب الحديد إلا بخيط يشد عليه ويجذب به . فإنه المشاهد في الجذب . حتى إذا شاهده تعجب منه وعلم أن علمه قاصر عن عجائب القدرة » .

وذلك بعد أن قال عن المؤثرات الروحية : « ذلك يكون بأسباب ، ولكن ليس من شرط أن يكون السبب هو هذا المعهود . بل في خزانة المقدورات عجائب وغرائب لم يطلع عليها . ينكرها من يظن ألا وجود إلا لما شاهده » .

وما يقال عن جذب المغناطيس يقال عن جذب الأجسام ولا سيما جذب الكواكب أو تجاذبها على هذه الأبعاد الشاسعة من السماء . فإن انتقال التأثير من الجاذب إلى المجذوب حقيقة لا ريب فيها ، ولكنها لا تفسر إلا بالفروض والتخمينات وتقدير الوسائط التي لا يثبتها العيان ولا يقطع بها البرهان .

والعجيب أن أدعياء العلم والعقل يشاهدون هذا وأمثاله ويسمعون تعليله الذي يختلف فرضاً بعد فرض ، وتخميناً بعد تخمين ، فيسكتون ويسلمون أنه معقول ومفهوم ولكنهم يستكثرون تأثير الروح في الأرواح وتأثير العقل في العقول ، لأنهم يريدون أن يلمسوا بأيديهم كيف تؤثر وكيف تتأثر . ولا يقبلون هنا ما يقبلونه في عالم الخس والعيان .

كذلك لا مانع مطلقاً من تفاوت الأرواح والعقول في قدرة التأثير بالصلاة بالدعاء والإيماء .

لأن الوجود كما أسلفنا طبقات وليس بطبقة واحدة ، منها ما هو أقرب إلى الخصائص الإلهية ومنها ما هو أقرب إلى الخصائص الطبيعية ، وليست كلها في التأثير سواء .

فالوجود الكامل يوجد غيره ، وهو جميع هذه الكائنات . ولكن هذه الكائنات درجات : فما يعي منها وجوده ويشعر بأنه موجود ، أرفع من الكائن الذي لا يعي وجوده ولا يشعر بأنه موجود .